سديم قلب

كلُّ القلوب تتشابه، كلُّها تتشابه حتى لتحسبها انفطرت عن قلبٍ واحد، قلبٌ اختزل في سديمه المقدرَ والمقسوم، وتشظَّى مع الغبار الكوني ليتوزع في صدورنا ببالغ العدل الممكن، ليحظى كل منا بنصيبه من بصمة القلب.. الواحد!

كلُّ القلوب تتقن البدايات كأبجدية موحدة تأتي بكامل بذخها في عبوة واحدة، مسبقة الإعداد، لا يأتيها اللحن عن يمين ولا شمال، تحمل ضمانة الختم الحتمي في عقد مبرم بينها، ومن قبل أن تنطق حرفا!

كلُّ القلوب تتقن ذات الترنيمة التي لا إلهام فيها، قد تغافل النوتة حينا، لكنها لا تلبث أن تعود لتنضبط مع كل القلوب: مطلعها المعتَّقٌ يحمل ذات المذاق الحريف، يلسع أو يهادن، لا فرق، ذات المطلع تحفظه كل القلوب..!

البدايات، تنتقل البدايات معنا كخبرة مكتسبة، نورثها لذواتنا في كل مرة، ونَشرق بتفاصيلها في كل مرة، ونغص في كل مرة، ثم لا نكف عن اجترارها في كل مرة، والأدهى أننا نحسبها في كل مرة ليست ككل مرة !

أنا التي لا وطن لي، لا وطن لي، أعتنق اليأس جدا ، اليأس أصل الأشياء جميعا، كما هو الحزن تماما، وكل ترهات مقاومته تعيدك إلى ذات النقطة المرهفة من اليأس الجميل، اليأس الذي معه تعتكف مع أمانك في صومعتك الخاصة، حيث المطلق الذي لا حدّ له إلا تصورك عنه، حيث الممكن لا يقف أبدا على باب المستحيل...

أنا التي لا وطن لي أعرف أنني لن أخون وحدتي أبدا، وحدتي الأصل فيّ، معها أعرف أنني الناجية الوحيدة، وأنني سأبقى بينما تعوي عواصف البدايات في الخارج، تبحث عن نهاية مختلفة لا تأتي أبدا..

أنا التي لا وطن لي، أحكم الباب جدا، وأسدُّ النوافذ جدا، أشعل المدفأة وألتحف الفراغ، ما أرحب حضن الفراغ! لا مزيد من البدايات اليوم، شكرا ..أقول أنا التي لا وطن لي..

أنا التي لا وطن لي أرى العالم من ثقب الباب يتبادل تهم البدايات الجاهزة، تتهاوى شهب غضة لم تحكم كذبتها لتصرعها البدايات، تهوي بصخب مدوٍّ يقتحم علي مخبئي، ثم تتلوى على بقايا جذوة في رمادها، وتكتسح في طريقها كل من يعترضها، أو تتداعى بصمت، تشحب وتذوي ثم تنتفض كأنها تتشبث بباقي وهم محتمل، ثم لا تلبث أن تسلم قبس ذبالتها دفعة واحدة ..كأنها لم تكن!

أنا التي لا وطن لي الناجية من المحرقة، المتشبثة بسلامها، أنا التي لا وطن لي، العنقاء فيّ تتكرت لخاصيتها، واكتفت بدور عملاق أسطوري ليس له من اسمه إلا ما تناقلته الألسن، أنا لن أبعث من رمادي، لأن ليس هنالك من رماد، أضن على التجربة بريشي الذي لم يمس، أنا التي لا وطن لي تجاوزت حدود التجربة، ترفعت عنها ورأيتها بمنظور الطائر كأجلى ما تكون، فعفتها وربضت على المطلق أرعاه فيّ، علّه يفرخ يوما.. وطنا.